MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 30-5-96
Photo No. : 76

الخاسر عندما يربح

استفتاء على السلام أم لا؟ تفويض لشمعون بيريس أم لا؟ من الطبيعي ان ينصب النقاش الداخلي في اسرائيل على هذه النقطة، وان يسعى "ليكود" الى الطعن سياسيا بانتصار خصمه باعتباره فشل في حشد اغلبية واضحة من الناخبين اليهود وراءه فبات منتصرا بفضل الاصوات العربية.

لكن الانتخابات الاسرائيلية لم تعد ملك الاسرائيليين وحدهم. فصارت تجوز فيها قراءة عربية لها مسوغاتها الخاصة. والقراءة العربية لهذا الحدث، كما يمكن ان تصاغ في غزة ورام الله، او في القاهرة وعمان وحتى في بيروت، تقوم على اعتبار امتحان السلام ناجحا على رغم سوء الظروف التي جرى فيها، او بالاحرى بسبب هذه الظروف تحديدا.

فبيريس المرشح يجرجر سمعة الخاسر الدائم بعد ان فشل اربع مرات في قيادة حزبه الى انتصار واضح. وبيريس كرجل دولة يفتقد في نظر الناخب الاسرائيلي المتوسط أهم مقومات القيادة وهي الخبرة العسكرية (مع العلم ان ما صنعه لاعطاء اسرائيل تفوقها الاستراتيجي يفوق مجموع انجازات المع الجنرالات الاسرائيليين). وبيريس الخلف (خلف رابين طبعا) تنقصه فوق كل شيء قدرة سلفه على طمأنة رجل القاعدة، كما بدا عند اول اهتزاز لعملية السلام. وبيريس كمنظّر للسلام فشل حتى في جعل السلام محور النقاش الانتخابي فانزلق الى حيث أراده "ليكود" ان ينزلق: هاجس الامن، بمعناه اليومي المعاش وليس بمعناه الاستراتيجي.

كل هذه المعطيات تفسر كيف استطاع بيريس ان يبدد الرصيد المعنوي الهائل الذي اعطاه اغتيال اسحق رابين لحزب العمل، (بالمساعدة الحثيثة لحركة "حماس"). كل هذه المعطيات كان يفترض ان تودي بحظوظ بيريس، لا سيما بعد التخبط الذي رافق العدوان الاسرائيلي ضد لبنان، لو كنا ما نزال في عصر الصراع العربي – الاسرائيلي الكلاسيكي. لكن عدم حدوث هذا الانقلاب بالذات يدل على ان قطاعا واسعا بل قطاعا اكثريا من المجتمع الاسرائيلي صار يرى نفسه في زمن آخر، عنوانه السلام مع العرب.

بالطبع، يعرف كل عربي ان السلام الذي يعرضه بيريس على العرب وترعاه الولايات المتحدة بكل ثقلها هو سلام مفيد لاسرائيل. لكن المشكلة ان الاسرائيليين، وهم المعنيون الأول بالمسألة، لا يقتنعون تلقائيا بهذه الفكرة. فالسواد الاعظم منهم ما زال يخضع لهاجس يبدو خرافيا للعربي، وهو هاجس الخوف من العرب الممزوج بهوس الهيمنة المستشري في المجتمع الاسرائيلي منذ حرب ١٩٦٧. وهذا تحديداً ما يجعل من نتيجة الانتخابات حدثا فريدا، وان تكن اغلبية بيريس ضئيلة. فالناخب الاسرائيلي عندما ينحاز الى الرجل الذي يرمز الى التسوية السلمية لا يفعل ذلك لأنه تبنى النظرة المفذلكة للشرق الاوسطية، كما يشرحها بيريس للاستهلاك الخارجي، ولا لأنه ادرك ان السلام سيأتي على اسرائيل بفوائد استراتيجية هائلة. اذ قلما يكون الخيار الانتخابي بهذا التعقيد، كما يعرف علماء الاجتماع في كل الاصقاع. انه، عند الناخب العادي، خيار المصلحة المباشرة، بل خيار شعوري احيانا. وبهذا المعنى، ليس من التفضيل اطلاقا ان تنحاز اكثرية من الاسرائيليين الى السلام شعوريا او مصلحيا. وبهذا المعنى ايضا، يصبح ممكنا اعتبار نتيجة الانتخابات استفتاء للسلام.

قد لا يكون استكمال مسيرة التسوية سهلا في الاسابيع المقبلة، نظرا الى الصعوبة التي سيواجهها بيريس في تركيب الائتلاف الحكومي. لكنه بات الان مؤكدا ان تلك المسيرة ستستمر من وجهة النظر الاسرائيلية على الاقل. والأهم من كل ذلك انها صارت، شئنا أم أبينا، الافق الذي سيتحكم بالمجتمع السياسي الاسرائيلي في المدى المتوسط.

سمير قصير